بعيدًا عن لعبة الكراسي الموسيقية

القاهرة ، من احمد رشدي حسين :

لم يكن امين الخولي واحدا من الذين اجتمعوا وزير الثقافة خلال الشهر الماضي ، بالرغم من ان الاجتماع كان يستهدف «التخطيط» لاصدار مجلات ادبية جديدة . وامين الخولي هو الكاتب المصري الوحيد الذي كان يصدر مجلة شهرية على حسابه الخاص . وامين الخولي كان يعاني آلام المرض في احد المستشفيات ، ولكنه لم يتلق بطاقة دعوة لحضور هذا الاجتماع . ولم يكن تجاهله الا صورة مصغرة لموقف غريب تأخذه بعض الجهات من هذا الرجل الشجاع .

امين الخولي، الذي فقدته اللغة العربية مؤخرا، ذلك المفكر الشجاع الذي تخرج من مدرسة القضاء الشرعي وعمل اماما بالمفوضية المصرية في برلين و روما ، ثم عاد استاذا بالجامعة المصرية ، وأخيرا اصبح مديراً للادارة الثقافية حتى عام ١٩٥٠ ، فاحيل الى المعاش وتفرغ نهائيا لاصدار مجلة « الادب » والاشراف على جمعيته الادبية المعروفة بمدرسة « الامناء » والعمل في التحقيقات اللغوية بالمجمع اللغوي .

وقد اتسمت حياة الخولي في مختلف مراحلها بالنضال من اجل اشرف القيم واكثرها قدرة على تطوير حياتنا الثقافية . فكانت له مواقف محددة في الدراسات الدينية قفزت به الى مكان الطليعة من المجددين المصريين من امثال مصطفى و علي عبد الرازق و خالد محمد خالد وغيرهم ممن ينتمون الى مدرسة الامام محمد عبده و جمال الدين الافغاني في التفكير الديني المستنير. ولربما كان موقفه من رسالة «الفن القصصي في القرآن الكريم » التي تقدم بها محمد احمد خلف الله لنيل درجة الدكتوراه في اواخر الاربعينات من اقدم المواقف التي تشهد له باصالة الفكر التقدمي المتحرر ، اذ اشرف على الرسالة حتى نهايتها ثم وقف الى جانب صاحبها في وجه الحملة الضارية التي قامت بها الرجعية التي اتهمتها معا بالهرطقة والالحاد ، ونجحت فعلا في ابعاد الدكتور خلف الله عن اسوار الجامعة . وربما كان موقفه من الطالبة تغريد عنبر بجامعة الاسكندرية ، ورسالتها عن «حروف المد في التجويد القرآني»، من احدث المواقف التي حرص فيها على الدفاع المستميت عن حرية الرأي مهما كلفه ذلك من تضحيات .

لا شك ان شجاعة الخولي كلفته الكثير. كلفته العزلة التي ضربتها حوله بعض الجهات ، فانفض تلاميذه من حوله ، وآلت مجلته الى ما يشبه الاحتجاب بالرغم من انتظامها في الصدور شهراً بعد شهر . فقد تحولت مع الايام عن رسالتها الاولى في ترسيخ مفهوم « الفن والحياة » الى مجرد «حقل تجارب» للمواهب الادبية الجديدة . وان كانت هذه المواهب تستحق كل رعاية وتشجيع ، الا اننا حين نذكر اسم امين الخولي في صدر منبر ثقافي ما، يجب ان نتطلع الى ذلك الدور الباهر الذي قام به هذا « الشيخ » في حياتنا الفكرية . فامين الخولي هو صاحب « فن القول » و « في الادب المصري » و « المجددون في الاسلام ».والحق ان هذه الكتب الثلاثة على وجه التحديد تحتل من تراثه الضخم مكانة ممتازة . فهي تكاد ان تؤرخ للخطوات الرئيسية الثلاث التي خطاها في تاريخنا الادبي والفكري . اما الخطوة الاولى فهي معنى « الفن » البعيد تماما عن الزخرف اللغوي . والخطوة الثانية هي « مصرية » الادب التي لا تتناقض مع جوهره

اولا ، مجلة شهرية تتابع الحركة الفكرية في العالم، وهي مجلة « الفكر المعاصر » ، على الا تكون مجلة ايديولوجية بل مجلة ثقافية مفتوحة لجميع التيارات الفكرية المعاصرة ولا تقتصر على اتجـــاه فكري واحد ؛ ثانياً ، مجلة شهرية للفنون المسرحية،وهي مجلة « المسرح » ؛ ثالثاً ، مجـــلة فصلية للفنون الشعبية ؛ رابعاً ، مجلة شهرية علميـــة مبسطة ؛ خامسا ، مجلة شهرية في الفكر السياسي ، وهي مجلة « الكاتب »على ان تكون مجلة ايديولوجية؛

ان تصدر مجـــلة فصلية بلغتين اجنبيتين – الانكليزية والفرنسية – تتضمن ترجمة لاهم ما نشر خلال الاشهر الثلاثة من انتاج فكري وادبي وفني ؛

فـــيما يتعلق بالشعر والقصة يكتفى بان تصدر مجلة « المجلة » اعدادا خاصة لكل شكل من هذه الاشكال في فترات متناسبة ؛

توصي اللجنة بتكوين شركة خـــاصة بالمجلات تتبع وزارة الثقافة او احدى مؤسساتها ، وبان تكون السلطة مخولة لرؤساء تحرير هذه المجلات ، وبان تتكون لجنة عليا من هؤلاء الرؤساء ، يضاف اليهم عدد من الشخصيات الثقافية المعروفة ، تكون مهمتها التقويم والتوجيه ، ويقتصر الجهاز الاداري في هـــذه الشركة على الاعمال الادارية والمـــالية وحدها ؛

توصي اللجنة بان تكون المجلات الايديولوجية الصادرة عن وزارة الثقافة تحت اشراف امـــانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكي . وترى اللجنة ان تعريف المجلة الايديولوجية هو انها المجلة التي تعمل على تكوين رأي عام بين المثقفين، ولا تقتصر على مجرد التنوير ؛

ترى اللجنة ان البـــلاد بحاجة الى مجلة فصلية متخصصة في الـــتراث العربي على المستوى العلمي الاكاديمي ، تكون مهمتها احيـــاء التراث العربي واعادة تقييمه ومتابعة النشاط العلمي فيه ؛

ترى اللجنة ان البلاد بحاجة الى مجلة ببليوغرافية فصلية ترصد جميع ما يصدر عـن المطبعة العربية من مطبوعات على نطاق العـــالم مع رصـــد للبيانات الببليوغرافية وتعريف موجز بمحتويات المطبوعات الهامـــة ، على ان يخصص حيز محدود منها لمعالجة مشاكل الكتاب العربي . وترى اللجنة انـــه من الممكن ان تقوم مجلة « الكتاب العربي » بهذه المهمة على ان تتطور لتقوم بهذا الغرض ؛

ترى اللجنة ان اصدار مجلة ادبية اسبوعية قد يسد فراغا هاما في حياتنا الادبية ، الا ان طبيعة المجلة الاسبوعية تعرضهـــا بالضرورة الى اصدار احكام فردية قـــد لا تمثل رأي الدولة ولا يجوز لوزارة الثقافة ان تكون طرفا فيها .

ان هذه المجموعة من التوصيات تمثل انتصارا الى حد مـــا لليسار ، كذلك جاء اختيار بعض الكتاب اليساريين لعضوية لجـــان المجلس الاعلى للفنون والآداب انتصارا آخر . ولكن الاحساس اليساري العـــام هو ان هذه الانتصارات ليست « مكاسب مطلقة » وانمـــا هي احدى دورات لعبة الكراسي الموسيقية . فلا احد يدري ماذا تكون الدورة القـــادمة . ولعل التوصية الوحيدة ، التي جاءت متأخرة ، هي التي جـــاءت لتقول : « ان تقوم الوزارة باعانة المجلات الثقافية الصالحة ذات المستوى الرفيـــع ، الصادرة عن هيئات خاصة » فقد رحل امين الخولي ، صاحب المجلة الوحيدة التي كان يمكن ان تستفيد من هذه التوصية ، رحـــل بعيدا – بعيدا عن لعبة الكراسي الموسيقية .